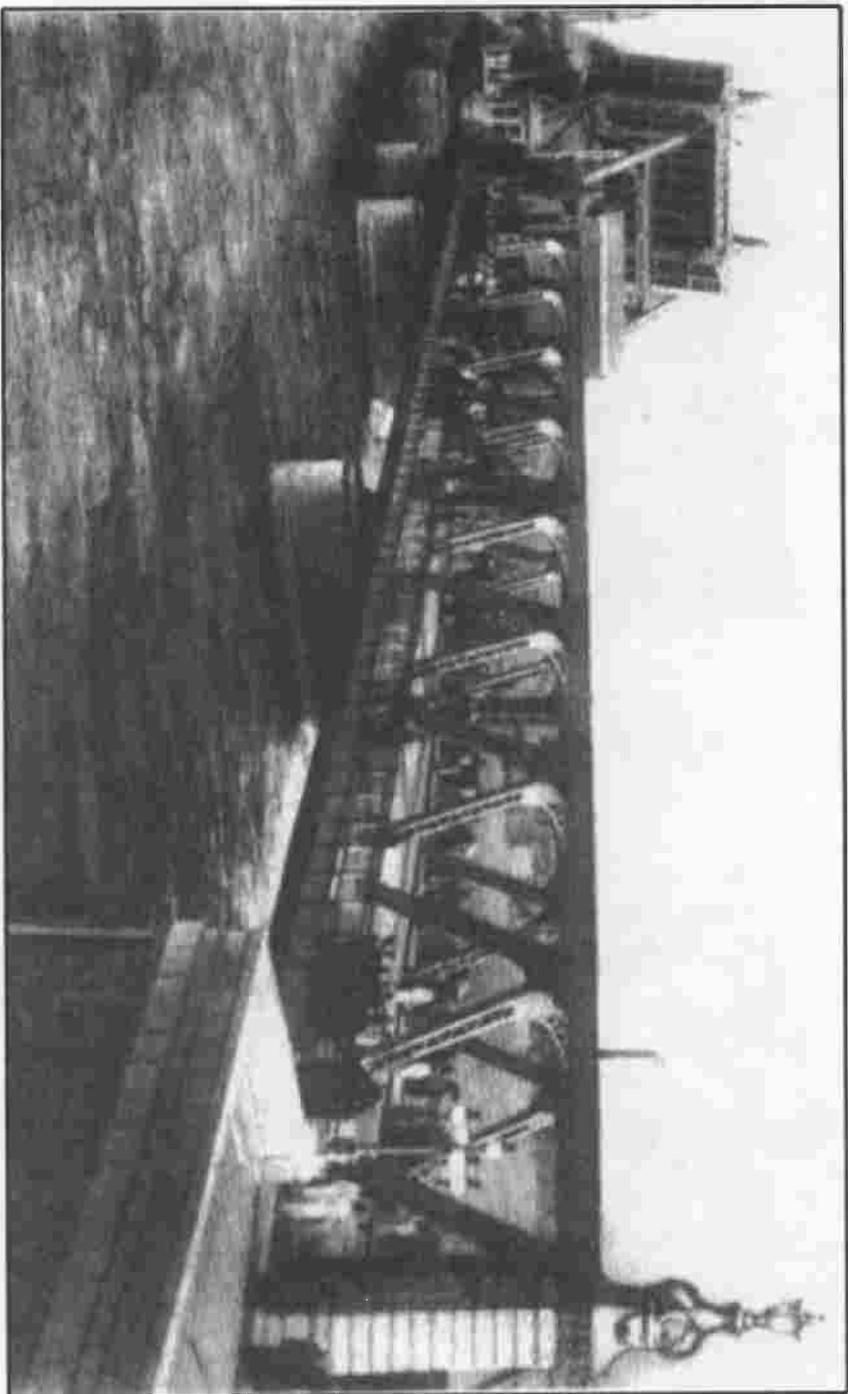


الباب الخامس

بين الزمالك

والصراع على حكم مصر



كوبرى بولاق الشهيرة بكوبرى أبو الملاة افتتاحه الخديو عباس حلى الثاني ١٩١٢ ليربط بولاق
بحزيرة الزمالك

الزمالك .. من جزيرة للمجون إلى قصور للأثرياء

كانت الأزبكية هي منطقة السكن المفضلة للأثرياء وبكوات الممالك على مدى ٦٠٠ عام حتى الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨ . واستمرت كذلك في بدايات عصر محمد علي الذي أنشأ لابنته زينب فيها قصرًا عرف باسم قصر الأزبكية . .

وإذا كانت جاردن سيتي قد أصبحت مقراً للباشاوات والبكوات بحكم قربها من مقر الحكم في عابدين وحي الوزارات والسفارات ، فإن الزمالك أصبحت هي الحي المفضل للبرجوازية المصرية مع بدايات القرن العشرين .

وبلاشك كان للخديو إسماعيل فضل تحول هؤلاء للإقامة في جزيرة الزمالك بعد أن أنشأ فيها قصر الجزيرة الذي شهد احتفالات فتح قناة السويس في نوفمبر ١٨٦٩ وهو القصر الذي اشترته أميرة « لطف الله » وأصبح فندقًا باسم « عمر الخيام » ثم أصبح قلب واحد من أكبر فنادق القاهرة هو فندق ماريوت .

*** وساعد على سرعة تعمير الزمالك والإقامة فيها ربطها بعدد من الكباري في عهد الخديو إسماعيل أيضًا مثل كوبري قصر النيل القديم « ١٨٦٩ » وكوبري الجلاء « ١٨٧٢ » . وزادت عملية تعمير جزيرة الزمالك بإنشاء كوبري بولاق - أبو العلاء عام ١٩١٢ في عهد الخديو عباس حلمي الثاني . وكوبري الزمالك امتدادًا له وفتح للمرور مع كوبري بولاق - أبو العلاء - في نفس العام أي ١٩١٢ . وكان قد بدى في إنشائها عام ١٩٠٨ وتكلف كوبري بولاق ٣٠٠ ألف جنيه بينما تكلف بناء كوبري الزمالك ٧٥ ألف جنيه فقط . .

وكانت الزمالك قبل عصر إسماعيل مجرد مكان يلجأ إليه الشباب لقضاء أوقات

طيبة لطيب هوائها . وهى التى بدأت كمكان لإقامة أخصاص من البوص للهو والغناء والطرب . . إلى أن جاء الخديو اسماعيل فأقام فيها واحداً من أكبر قصوره هو قصر الجزيرة . أو سراى الجزيرة التى أقامها على ٦٠ فداناً وتكلفت ٨٩٨٦٩١ جنيهاً وأتى بالمهندسين من فرنسا وإيطاليا لإنشائه وتزيين حدائقه . . وفيه أقامت الامبراطورة أوجينيى امبراطورة فرنسا خلال حضورها احتفالات فتح قناة السويس . وبعد أن كانت جزيرة الروضة هى مصيف القاهرة من أيام الأمويين ثم الأيوبيين . . أصبحت الجزيرة هى مصيف القاهرة فى نهاية القرن ١٨ عندما اختارها إبراهيم بك شيخ البلد عام ١٧٩١ مصيفاً له ولحاشيته .

*** ولم تصبح الزمالك جزيرة بالمعنى الصحيح إلا فى الربع الأخير من القرن ١٩ . إذ حتى عام ١٨٧٣ لم يكن الفرع الغربى للنيل موجوداً على الدوام . بل كان يمتلئ أثناء الفيضان ثم يغطى بالطمى ويجف ولذلك سعى البحر الأعمى . فالبحر إذا نفذ منه الماء كان كالعين إذا فقدت الإبصار . ثم حفر بعد ذلك وأقيم عليه كوبرى البحر الأعمى عام ١٨٧٧ . ثم أنشئ الكوبرى الحالى عام ١٩١٤ ليكمل محور كوبرى قصر النيل .

والزمالك كلمة أعجمية معناها الأخصاص وهى بيوت من الغاب والبرسيم وظهرت أول ما ظهرت عام ١٣٧٢ م جزيرة شمال جزيرة أروى عرفت بجزيرة حليمة ، وسميت بالجزيرة الوسطى - وهو اسم مازال موجوداً على أحد الشوارع بالممالك حتى الآن - وأقبل الناس على سكنها بعد أن بنوا الأخصاص وتآلقوا فيها وزرعوا حولها الزهور والبطيخ والشمام والقتاء . وأقبل عليها أرباب الخلاعة والفجور . ولما زادت تلك الأعمال أمر السلطان الكامل شعبان بن قلاوون بحرق هذه الأخصاص .

*** واتصلت الجزيرتان : أروى وحليمة وأصبحتا جزيرة واحدة أطلق عليها الفرنسيون عند دخولهم مصر اسم جزيرة بولاق أو جزيرة القرطية . وهى ما نعرفه الآن باسم جزيرة الزمالك . وفى عصر إسماعيل عندما أقام سراى الجزيرة - لطف الله الآن - أقام معسكراً لجنود الحراسة على شكل خيام من طراز الزمالك . . أى أن كل أرض

الزمالك قبل حفر البحر الأعمى كانت أرضًا متصلة بالعجوزة وامبابه كما جاء في تقويم النيل لمؤلفه أمين باشا سامى .

*** وانتعشت جزيرة الزمالك بعد ذلك بإنشاء عدد من الحدائق : الأندلس . الزهرية . الحرية . وأقيم أمام كوبرى قصر النيل المعرض الصناعى الزراعى لأول مرة عام ١٩٣٨ . فزاد من تعمير الجزيرة وأقامت فيها وزارة المعارف أول حمام مغطى للسباحة . . مع إنشاء النادى الأهلى . وقد أقام الملك فاروق استراحة له عند رأس الجزيرة الجنوبي هى استراحة فاروق التى أصبحت مقرًا لمجلس قيادة الثورة ثم جاء بناء برج القاهرة ليصبح أكبر معلّم من معالم جزيرة الزمالك !!

الزمالك .. بين « أبو العلا » وسراى الخديو

*** وفى عام ١٩١٤ رثى أن الكوبرى الأعمى القديم لم يعد قادرًا على القيام بدوره فتم إنشاء كوبرى جديد عرضه ١٩ مترًا منها سبعة أمتار هى عرض الرصيفين وطوله ١٤٥ مترًا . . ولقد حمل الكوبرى الجديد اسم كوبرى الجلاء . . ولكن شعب مصر وسخرية من الانجليز أطلقوا على الكوبرى اسم أشهر راقصة فى تاريخ مصر وقتها وهى بديعة مصابنى اللبناية الأصل . إذ كانت تملك أكبر ملهى ليلى فى القاهرة وقتها ومحلها الآن موقع فندق شيراتون القاهرة أمام الكوبرى مباشرة ، وهى الراقصة التى هربت إلى موطنها لبنان بعد أن هربت أموالها بدون علم الحكومة . . وظل الكوبرى يحمل اسم كوبرى بديعة جماهيريًا حتى تم جلاء الانجليز عن القاهرة والدلتا عام ١٩٤٧ أى بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية حيث تغير الاسم إلى كوبرى الجلاء . .

*** وكجزء من التاريخ النضالى المصرى على هذا المحور المرورى الهام - كوبرى قصر النيل وكوبرى الجلاء - تم وضع تمثال سعد باشا زغلول عند البر الغربى للنيل - أى فى الجزيرة أمام الكوبرى الأول وأمام أرض المعرض الصناعى والتجارى المصرى - أرض المعارض ، ثم موقع دار الاوبرا الجديدة وهو أحد تماثيل سعد زغلول اللذين أقامهما تمثال مصر العظيم محمود مختار ، وأقام التمثال الآخر فى ميدان سعد زغلول فى محطة الرمل بالاسكندرية .

أما التمثال الآخر الموجود قبيل كوبرى الجلاء من ناحية المعارض . فهو تمثال أحمد ماهر باشا ، وهو أحد أبطال ثورة ١٩١٩ والذي أصبح رئيساً لوزراء مصر واغتاله بالرصاص المحامى محمود العيسوى فى فبراير ١٩٤٥ فى البهو الفرعونى بمجلس النواب وقتها - مجلس الشعب الحالى . .

*** وأمام كوبرى « أبو العلا » الحالى - فى جزيرة الزمالك - أنشأ الخديو اسماعيل سراى الجزيرة على مساحة ٦٠ فداناً وأقامت فيه الامبراطورة أوجينى عندما زارت مصر لحضور فتح القناة للملاحة العالمية فى ١٧ نوفمبر ١٨٦٩ .
وفى هذا القصر أقيمت أفراح الأنجال وشهدت سراى الجزيرة حضور ٥٠٠٠ شخص لأفراح الأنجال .

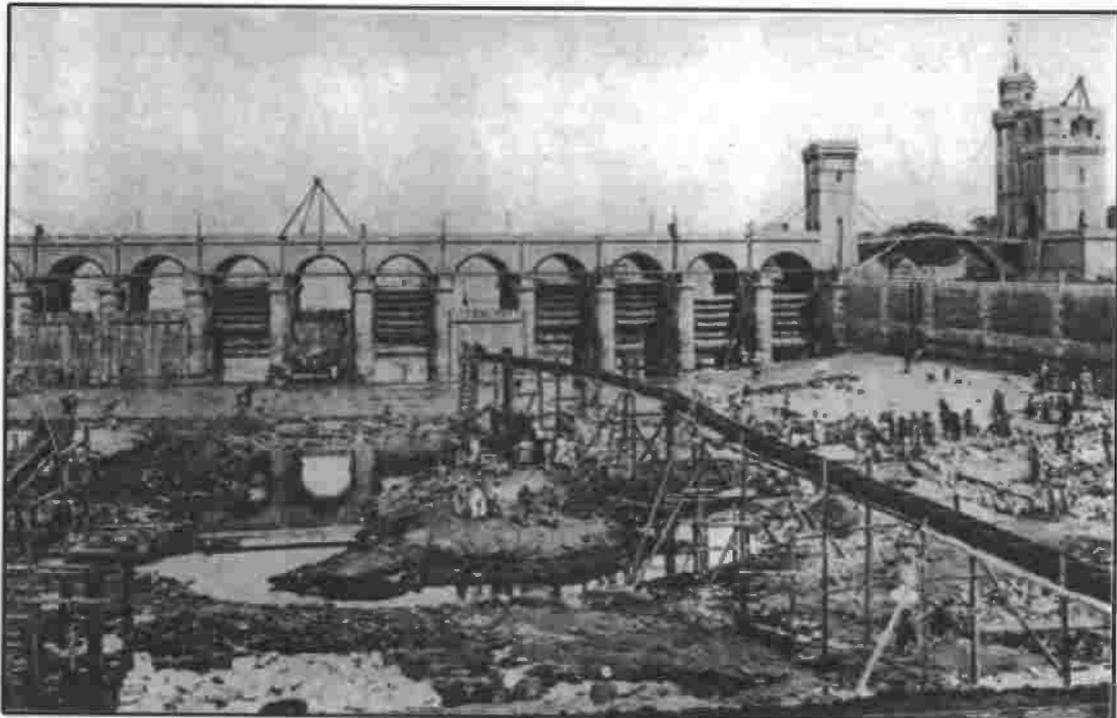
*** ثم اشترت عائلة لطف الله هذه السراى العظيمة حتى تم فرض الحراسة عليها خلال الستينيات . . وتلفقه الدكتور محمد عبد القادر حاتم عندما كان مسئولاً عن الإعلام والسياحة فحول هذه السراى إلى فندق يحمل اسم « عمر الخيام » وأصبح هذا القصر هو قلب فندق ماريوت الحالى ، أى يتوسط البرجين الفندقين الحاليين . ومازال هذا القلب شاهداً على عظمة هذا القصر الكبير . ولقد نجح ورثة لطف الله فى الحصول على حكم باستعادة القصر لتنشأ مشكلة قانونية عويصة !! وينجح سعد فخرى عبد النور محامى الأسرة فى الحصول على ٣٠ مليون جنيه تعويضاً عن مصادرة القصر . .

محمد مظهر .. بين فنار الاسكندرية والقناطر الخيرية

هو واحد من أشهر شوارع الزمالك - حى السفارات والسفراء والأعيان - ويبدأ - تقريباً - من تقاطع شارع ٢٦ يوليو وينتهى عند رأس جزيرة الزمالك أى الجزء الشمالى . وصاحبه مهندس مصرى فذ ، درس فى مصر واختاره محمد على باشا ليكون ضمن أول البعثات الدراسية التى أرسلها إلى فرنسا عام ١٨٢٦ ليدرس الهندسة البحرية . بعد أن درس بمدرسة رأس التين وعاش فى فرنسا عشر سنوات يدرس ويتعلم . وكان عدد أعضاء هذه البعثة الكبرى ٤٤ طالباً برئاسة مسيو جومار وهى البعثة التى كان رفاة رافع الطهطاوى إماماً لها . .



المهندس محمد مظهر عندما كان يدرس في فرنسا



القناطر الخيرية خلال إشراف محمد بك مظهر على بنائها .

** وفي باريس تتلمذ على يد فيلسوف فرنسا الكبير جوزيف كونت ، ودرس الرياضيات والهندسة البحرية ومنه لم يزل ١٧ عامًا . وعندما أنهى دراسته في فرنسا قدموه إلى جون استيوارت ميل كواحد من أنبيغ الناجحين ، إذ جاء ترتيبه السابع بين ٦٠ فرنسيًا . . ذلك هو محمد مظهر باشا . .

** وعند عودته إلى مصر عينه محمد علي ناظرًا لمدرسة المدفعية « الطوبجية » في طره ومنحه رتبة البكباشى . . ثم عهد محمد علي إليه ببناء فناء الاسكندرية الكبير القائم بطرف شبه جزيرة رأس التين ، وهو من أجل أعماله . .

وفي عام ١٨٤٤ شارك المهندس محمد مظهر في إنشاء حوض لترميم السفن .

** ولكن عمله الكبير كان المشاركة في إنشاء القناطر الخيرية التي كانت معجزة هندسية عالمية في وقتها ، إذ عمل مساعدًا للمهندس الكبير موجيل بك هو ومصطفى بهجت . وتخصص مظهر بالإشراف على إنشاء قناطر فرع رشيد .

وبسبب عبقريته أنعم عليه محمد علي برتبة أميرالاي . وعندما ظهرت ضرورة تدعيم هذه القناطر أرسله إسماعيل باشا إلى فرنسا للتشاور مع مهندس القناطر موجيل بك لوضع برنامج صيانة وإصلاح عيون هذه القناطر وكان مظهر يرسل إلى مصطفى بهجت تفاصيل كيفية إصلاح هذه القناطر وبعد أن أثبت نجاحًا كبيرًا أنعم عليه الخديو إسماعيل برتبة الميرمران وبالتالي الباشوية .

** كتب عنه الدكتور كلوت بك « منشىء أول مدرسة للطب في مصر » يقول « مظهر أفندى لنا الحق أن تفخر به . وهو المهندس المصرى الذى تلقى العلم في فرنسا ويوجب مدحه والثناء عليه . . » ورغم أنه كان أحد ثلاثة درسوا الهندسة البحرية في فرنسا إلا أن أحدًا لم يعرف مصير المهندسين الآخرين وهما سليمان أفندى البحيرى وعلى أفندى .

أما زميله في البعثة الأولى الكبرى - مصطفى بهجت - فقد تلقى علومه بمدرسة قصر العيني وكانت تعد للدراسة بالمدارس الحربية والعالية . والتحق بمدرسة الهندسحانة في القلعة ، وسافر إلى فرنسا ضمن البعثة الأولى وعاش هناك ١٠ سنوات

أيضاً أتقن خلالها العلوم الرياضية والفنون الهندسية . وعندما عاد إلى مصر عينه محمد على ناظرًا لمدرسة قصر العيني ، وتولى وضع مشروع لتسهيل الملاحة في منطقة الشلالات . وبعد أن شارك في بناء القناطر الخيرية ، عين مفتشاً لهندسة المنوفية والغربية وعهد إليه الولى عباس باشا وضع تقييم لتجديد الجامع الأحمدي في طنطا إلى أن تم بناؤه في عهد إسماعيل . وأشرف على إنشاء السكة الحديد من بنها إلى كفر الزيات لينال رتبة اللواء . وهو الذي خطط لمشروع الترعة الإبراهيمية وعين ناظرًا للمعارف . ١٨٧٠ .

*** وعودة إلى شارع محمد باشا مظهر فنذكر أن به العديد من مقار السفارات وفي مقدمتها سفارات الجزائر والقاتيكان والعراق . . وقصر الأميرة سميحة كامل بنت السلطان حسين كامل . وهو القصر الذي تحول إلى مكتبة القاهرة الكبرى بعد أن تكلف التحويل حوالي ١٤ مليون جنيه وتم فيها تجميع كل ما كتب عن القاهرة منذ نشأتها الأولى - الفسطاط - والقطائع والعسكر ثم القاهرة الفاطمية وهي تجمع الآن الخرائط والوثائق الهامة ولما عجزت إدارة المكتبة عن العثور على أصولها تولت تصويرها لتتحول المكتبة إلى أول مكتبة متخصصة من نوعها في مصر .

وهكذا سيظل محمد مظهر العلامة الذي ذهب إلى عاصمة النور علمياً على أهم شوارع الزمالك . . حيث مكتبة القاهرة الكبرى رمز التنوير .

مات وهو يلقي خطاب العرش !

صاحب هذا الشارع هو رئيس الوزراء المصري الوحيد الذي توفي وفاة طبيعية وهو في هذا المنصب . وثاني رئيس وزراء مصري يلقي ربه وهو في منصبه الثالث هو الدكتور فؤاد محيي الدين . .

بدأ حياته العملية محامياً وتدرج في المناصب القضائية إلى أن عين وزيراً مفوضاً لمصر في لندن عام ١٩٣٥ ثم بدأ مشوار حياته مع الوزارة عندما اختاره عبد الفتاح يحيى وزيراً للمالية في حكومته الأولى « ٢٧ سبتمبر ١٩٣٣ - ١٤ نوفمبر ١٩٣٤ » استجابة لمطلب الملك فؤاد .



حسن صدري باشا . . مات وهو يلقي خطاب العرش .

*** فقد حاول الملك فرض حسن بك صبرى كوزير للمالية بحكومة إسماعيل صدقى . بسبب علاقة حسن صبرى بالقصر وولائه للملك . إلا أن إسماعيل صدقى رفض طلب الملك واعتبره تدخلاً في مقاليد الحكم . فاستقال صدقى ليجيء عبد الفتاح يحيى باشا رئيساً للحكومة ويلبى طلب الملك . ويؤكد مقولة أن رغبة الملك هي العليا وهي التى تنفذ في النهاية .

*** ثم يعين حسن بك صبرى وزيراً للمواصلات والتجارة والصناعة في حكومة على ماهر باشا الأولى في ٢٠ يناير ١٩٣٦ إلى ٩ مايو ١٩٣٦ وفي حكومة محمد محمود باشا الثانية من ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ إلى ٢٧ أبريل ١٩٣٨ ، تم تعيين حسن صبرى وزيراً للمواصلات بعد أن حصل على الباشوية ، وفي حكومته الثالثة اختاره محمد محمود وزيراً للحربية والبحرية من ٢٧ أبريل ١٩٣٨ إلى ٢٤ يونيو من نفس العام ، بعد أن اكتسبت هذه الوزارة أهمية خاصة عقب توقيع حكومة الوفد لمعاهدة ١٩٣٦ وزيادة الاهتمام بالجيش وتسليحه ، فأصبحت الحربية لا تقل أهمية عن الداخلية والمالية . واستمر وزيراً للحربية في حكومة محمد محمود الرابعة إلا أنه استقال بسبب خلافه مع الملك فاروق الذى لم يقبل ترشيح الوزير حسن صبرى للواء صالح حرب ليشغل منصب مدير إدارة الحدود . . وأيضاً بسبب خلافه مع وزير المالية الدكتور أحمد ماهر بسبب الخلاف حول تطبيق كادر جديد على رجال الجيش .

*** إلا أن نجم حسن صبرى باشا يعود للصعود عندما استقال على ماهر باشا في ٢٧ يونيو ١٩٤٠ . وبسبب علاقة حسن صبرى الوثيقة بالإنجليز منذ كان سفيراً لمصر في لندن ثم ترشيحه ليشكل الحكومة في نفس اليوم . وقبض ثمن ولائه لبريطانيا التى كانت تريد حكومة تتمتع بثقة حزب الوفد رغم أنه وجه غير وفدى . واحتفظ حسن صبرى بوزارة الداخلية مع رئاسة الحكومة ، وهو أسلوب متبع في مصر خلال الأزمات .

وحاول الرجل تجنب مصر ويلات الحرب العالمية الثانية رغم تعاونه مع بريطانيا وحدثت أزمة عندما نقل محمود فهمى النقراشى من وزارة الداخلية إلى المالية وبسبب تقدم القوات الإيطالية إلى سيدى برانى داخل مصر .

*** وشكل الرجل حكومته الثانية يوم ١٤ نوفمبر ١٩٤٠ وذهب حسن صبرى إلى البرلمان في هذا اليوم ليلقى خطاب العرش « خطاب الحكومة » إلا أنه يسقط ويلفظ أنفاسه وهو في قاعة البرلمان فلم ينعم بحكومته الثانية . .

وتختار مصر واحدًا من أهم شوارع الزمالك لتطلق اسم حسن باشا صبرى عليه ، وهو يبدأ من أمام حديقة الأسماك ويمتد إلى حيث يتقاطع مع شارع فؤاد « الذي كان يدين له بالولاء والوفاء » . ثم يمتد الشارع في النصف الشمالى من جزيرة الزمالك إلى أن يتصل بشارع محمد باشا مظهر مهندس مصر العظيم .

*** وفي شارع حسن باشا صبرى تحتل السفارات عددًا كبيرًا من أهم قصور وفيلات الزمالك . ويصبح هذا الشارع من أهم محاور المرور في جزيرة الزمالك كلها ويمتد إلى أن يصل إلى الشاطىء الشرقى لفرع البحر الأعمى للنيل عند تقاطعه مع شارع الجزيرة الذى يحمل الآن اسم السيدة أم كلثوم . .

*** والغريب أن جزيرة الزمالك التى لم تكن معروفة كحى سكنى أيام الدولة الأيوبية نجد فيها كثيرًا من الأسماء الأيوبية على شوارعها مثل شارع شجرة الدر والصالح أيوب وابن زنكى والمنصور محمد « المملوكى » . ويلاحظ أن الكثافة السكانية والقصور تتركز في الجزء الشمالى من جزيرة الزمالك بينما تشغل الجزء الجنوبى الحدائق والأندية « الجزيرة والأهل والمعلمين وشباب الجزيرة والأسماك » .

غريمان في الزيتون

هل هي مصادفة أن يلتقى الغريمان ، وأن تستمر المواجهة بينهما حتى بعد أن أصبحتا ذكرى في كتب التاريخ ، وهما اللذان تحاربا في ساحات الوغى : الأول جاء غازيًا ظامعًا في ملك مصر . . والثاني كان مدافعًا صلبًا أبى إلا أن يدافع عنها حتى الرمق الأخير . .

أولهما : السلطان سليم الأول سلطان تركيا العثمانية الذي أدخل مصر في حوزة تركيا لتفقد استقلالها وتعيش في ظلامهم حوالي ٥٠٠ عام .

وثانيهما : الملك الأشرف طومان باى آخر سلاطين المماليك الذى دافع عن مصر الدولة والشعب ولم يتراجع عن حمايتها حتى شنقوه على باب زويلة في يوم أسود ، بل هو أسود يوم في تاريخ مصر كله .

وتشاء الصدفة أن تستمر المواجهة بينهما - وأيضًا على أرض مصر - هناك حيث لكل منهما شارع طويل عريض يحمل اسم كل منهما . . والغريب انها يبدأان من نقطة واحدة هي شارع منشية البكرى عند اللقاء بشارع الفريق محمود شكرى ويستمران متوازيين كيلومترات عديدة . . شارع سليم الأول على اليسار . . وشارع طومان باى على اليمين . .

*** الأول - شارع سليم الأول - يستمر ليعبر قصر الطاهرة على مرمى البصر من ميدان طومان باى ليعبر الزيتون وشارع الحكم الرئيسى إلى أن يصل إلى المطرية ، أى ينتهى عند شارع التحرير قبيل كلية التكنولوجيا . .

*** والثانى : شارع طومان الذى يستمر إلى ميدانه أمام قصر الطاهرة ليقطع

شارعى الزيتون وسمان باشا ، ويصل أيضًا إلى ميدان الحكم ويتوقف ، بينما يستمر امتداد الشارع بعد أن يحمل اسم مدخل المعسكر إلى متحف المطرية ثم إلى عين شمس . .

والغريب أن يبدأ معها من ناحية منشية البكرى حيث شارع أبو العسكرية المصرية الحديثة الفريق عزيز المصرى الذى رشحوه رئيسًا للجمهورية بعد إلغاء الملكية فى مصر فى ١٨ يونية ١٩٥٣ . . وهذا الشارع يستمر عند تقاطعه مع شارع الحكم ليستمر شارع عزيز المصرى عابرًا لإدارة التجنيد وحلمية الزيتون ليصل إلى شارع الشهيد أحمد عصمت الذى استشهد خلال معارك القناة ثم شارع عربى الذى قاوم جيوش الاحتلال البريطانى !!

*** وقبل أن نخوض فى علاقة سليم الأول بطومان باى علينا أن نلقى الضوء على سليم الأول ، هذا السلطان الدموى الرهيب . . فقد ولد عام ١٤٦٧ م ولم يجد غضاضة من أجل القفز إلى السلطة فى أن يحارب أباه السلطان بايزيد ثم يجلبه بعد أن هزمه ويعلن نفسه سلطانًا لتركيا عام ١٥١٢ م . وفى سبيل تثبيت سلطانه حارب إخوته وأولاد إخوته ، حتى إنه قتل أخاه الأمير أحمد وأولاد إخوته الخمسة . . كما قتل أخاه كركور ولم ينج منه إلا اثنان من أبناء أخيه الأمير أحمد ، الأول هرب لاجئًا إلى غريمه القوى إسماعيل الصفوى سلطان إيران ، والثانى هرب لاجئًا إلى سلطان مصر قنصوه الغورى الذى أكرم وفادته . .

*** ولأنه كان يسعى لى يصبح أقوى قوة فى العالم الإسلامى فقد قرر أن يقضى على أكبر قوتين إسلاميتين فى عهده . الأولى الدولة الصفوية الشيعية فى إيران . والثانية الدولة السنية المملوكية فى مصر والشام وشبه الجزيرة العربية .

وبدأ معركته مع إسماعيل الصفوى عام ١٥١٤ م أى بعد عامين فقط من استيلائه على سلطة آل عثمان . فحارب الصفوى وقتل ٤٠ ألفًا من الشيعة ، وضم ديار بكر وكردستان وكسر شوكة الصفويين . ثم استدار ليضرب مصر فى ممتلكاتها فى الشام وفلسطين ، ثم يزحف على القاهرة .

*** ولم ينتظر سلطان مصر - قنصوه الغورى - أن تصل جيوش آل عثمان إلى مصر

ذاتها ، فانطلق بقواته إلى حيث حدود مصر عند شمال سوريا مع حدود تركيا . . وكان اللقاء في مرج دابق يوم ١٥ من رجب عام ٩٢٢ هجرية (١٥١٦ ميلادية) فماذا جرى . . وكيف دارت المعركة الفاصلة !!

طوماى باى يتصدى للغازى العثماني .

كانت المخاطر تحيط بمصر من كل جانب في زمن السلطان الأشرف قنصوه الغورى أحد سلاطين المماليك العظام الذى تولى حكم مصر وقد جاوز الستين من عمره عام ١٥٠١ .

فالبرتغاليون - ملوك الكشوف الجغرافية والصليبيون الجدد - نجحوا في اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح ، وحولوا التجارة من مصر إلى الطريق الجديد فخسرت مصر أكبر عائد مالى كان يدخلها من الجمارك ورسوم العبور في أراضيها . وحاول الغورى كثيرا التصدى للبرتغاليين ، فأرسل عدة حملات بحرية لمقاومتهم في المحيط الهندي وأمام السواحل الغربية للهند . وحقق الأسطول المصرى عدة انتصارات عليهم . . إلا أن هذه الانتصارات لم تكن حاسمة . . فقد كانت القوة البرتغالية قوة شابة . . وكانت القوة المصرية في أواخر عصر القوة المملوكية .

وكان الصفويون بزعامة كبيرهم الشاه إسماعيل الصفوى يهددون الدولة المملوكية المصرية في مصر والشام . وكان الصراع رهيبا في هذا القطاع الشمالى الشرقى من الدولة المصرية . .

ثم هاهم العثمانيون بزعامة سلطانهم الدموى سليم الأول يهددون شمال مصر - في حلب . .

وأيضًا كان الفرنج يهددون مصر بعد أن ألهم إسماعيل الصفوى على مصر . . وهكذا وقعت مصر في معارك رهيبة هددت أمنها .

** ولم ينتظر الغورى حتى يهبط الجيش العثماني من جبال طوروس ليهدد ممتلكات مصر في الشام ، فخرج بجيش كبير أحسن تسليحه وتدريبه بعد أن أناب عنه في حكم

مصر الأمير طومان باى . والتقى الجيشان : العثماني بقيادة سليم الأول . والمصري بقيادة الغورى . .

وهجم الجيش المصرى وكان على مسيرته فيالق مصرية بقيادة خاير بك نائب الغورى فى حلب . وكان على الميمنة فيالق مصرية أخرى بقيادة الغزالي . أما القلب فكان بقيادة الغورى نفسه . وكاد جيش مصر يفتك بالعثمانيين ، لولا الخيانة - وهى أسلوب عثمانى شهير - فقد اتصل العثمانيون بالخائن خاير بك والخائن الغزالي ، فانسحبوا بقواتهما من مسيرة وميمنة الجيش لينكشف القلب . وحاول الغورى المقاومة ولكن سلاح المدفعية العثماني الجديد كان سلاحاً حاسماً ، وعندما تكشفت خيانة الغادرين سقط الغورى عن صهوة جواده من شدة القهر وقيل « فقتت مرارته » وتقياً دماً كما قال ابن إياس المؤرخ المصرى الكبير . ومات الغورى تحت أقدام الخيل وعمره ٧٨ سنة حكم منها ١٥ سنة و ٦ اشهر و ٢٠ يوماً . ولكن يكفيه أنه مات وسط المعركة بين جنوده حتى لا يعيش الذل والهزيمة .

** وسجل التاريخ يوم ١٥ من رجب عام ٩٢٢ هجرية (١٥١٦م) تاريخاً لانتصار العثمانيين بالغدر والخيانة . . والسلاح الجديد فماذا فعل نائب الغورى فى مصر : طومان باى ؟!

كان طومان باى قد أدار حكم مصر نيابة عن الغورى بعدل غير معهود من سلاطين المماليك ، فأحبه الناس لتقديسه للعدل وحكم الشريعة والقانون . ويصفه ابن إياس مؤرخ مصر بأنه خلال نيابته عن الغورى كان « محباً للعوام » لين الجانب . . قليل الأذى . غير متجبر أو متكبر . . وكان قوى الشكيمة لايلين . وزاد حبه للعدل والإنصاف بين الرعايا .

** وبمجرد أن عرف أخبار هزيمة أستاذه الغورى فى مرج دابق ، كان عليه أن يبدأ المقاومة من تحت الصفر ، فقد كانت الخزينة خاوية ، ورفض اقتراحاً بجمع ما يلزم من نفقات من الرعايا ، وقال إنه لا يحب أن يلقي الله وفى صفحته تلك النقطة السوداء . وبذل همه غير معهودة لإعداد مصر للحرب . بعد أن وصلت طلائع جيش

العثمانيين إلى غزة . . وكان من رأيه أن يخرج لملاقاتهم في فلسطين ، ولكن أمراء المماليك أصروا على أن تكون الحرب قريباً من القاهرة ، بل رفضوا ملاقاته العدو في الصالحية ، أو حتى في بلبس .

ولهذا أعد طومان باي خطاً حصيناً عند الريدانية ، ووضع فيه أسلحة لم يكن لمصر عهد بها منها مائة عجلة تجرها الأبقار وتحمل رماة يرمون بالرصاص . . وهكذا . . ونجح في استشارة حماس المصريين .

*** ومرة أخرى تلعب الخيانة دورها فقد خانه الأعراب وبعض الأمراء ، ودلوا العدو على طريق يوصلهم للقاهرة بعيداً عن هذا الخط الحصين .

سنتقه على باب زويلة ويتحدها حياً وميتاً !!

وفي يوم ١٩ ذى الحجة ٩٢٣هـ دارت في الريدانية معركة تفوق معركة مرج دابق من حيث الشدة . وأبلى طومان باي بلاءً حسناً ، وخاض في قلب الجيش العثماني وكان يهدف أن يقتل السلطان سليم بنفسه وإن قتل أكبر أعوانه . ولكن مدافع العثمانيين وبنادق الرصاص كانت لها الغلبة ، فانهزم الجيش المصرى وانسحب طومان باي .

*** وفي يوم الاثنين الثالث من محرم ٩٢٤هـ (١٥١٧ م) دخل السلطان سليم شاه الأول القاهرة من باب النصر ، وكان يوماً في غاية السواد .

ولكن طومان باي لم يأس إذ هاجم السلطان سليم في معسكره الذي أقامه على ساحل بولاق ، وانتصر فيها طومان باي الذي عاد إلى القاهرة حيث خطب العلماء باسمه في المساجد يوم الجمعة . ولكن قواته تحللت ، فانسحب إلى الصعيد حيث أنشأ جيشاً جديداً للدرجة أن سليم الأول خشى منه بل عرض عليه الصلح على أن يكون نائباً لسليم في حكم مصر مقابل أن ينسحب سليم بجيشه منها . ولكن الخيانة لعبت دورها مرة أخرى فانهزم طومان باي في معركة جرت في بر الجيزة .

*** ولجأ طومان باي إلى صديقه شيخ العرب حسن بن مرعى زعيم قبائل البحيرة ليعيد تكوين قواته . إلا أن حسن بن مرعى هذا رغم أنه عاهده على الوفاء ، أرسل



على باب زويلة تم شنق طومان باى آخر سلاطين مصر المستقلة
عندما استولى عليها السلطان سليم الأول .

الرسول إلى سليم الأول يخبره بوجود طومان باى عنده فأرسل ٤٠٠ من جنوده ، تمكنوا من اعتقاله وحملوه إلى القاهرة .

وللتاريخ تجمع كل الكتب على أن السلطان سليم الأول أعجب بشخصية طومان باى وبسالته وصموده واعتزازه بكرامته بل ومصريته . وتسجل هذه الكتب حواراً رائعاً بين الغالب والمغلوب يؤكد عظمة طومان باى . ولكن الخائنان خاير بك والغزلى أوغرا صدر سليم عليه خوفاً من انتقامه وأقنعاه بقتل طومان باى .

*** وفى يوم الاثنين ٢٣ أبريل ١٥١٧م اقتاد جند سليم الأول البطل طومان باى من سجنه فى انبابة إلى باب زويلة . فسار رافع الرأس يسلم على الناس طوال الطريق ، وعندما وصل إلى مكان الإعدام عند باب زويلة ، طلب طومان باى من الناس أن يقرأوا له الفاتحة ثلاث مرات وقرأها هو أيضاً . ثم التفت إلى الجلاد يطلب منه تنفيذ إعدامه شتقاً .

ولكن الحبل انقطع مرتين كأنه كان يأبى شتى البطل الهمام ولم يمض طومان إلا فى المرة الثالثة . وظلت جثته معلقة على باب زويلة ثلاثة أيام . ويصف مؤرخ مصر ابن إياس لحظة إعدامه فيقول إنه «عندما تم الشق وقاضت روحه ، صرخت عليه الناس صرخة عظيمة وكثر عليه الحزن والأسف ، وكان عمره نحو ٤٤ سنة ، وثبت فى الحرب «وكسره» قوات عثمان ثلاث مرات أى هزمها .

*** وبموت طومان باى دانت الأمور فى مصر والشام للسلطان سليم الأول وانتهت دولة المماليك البحرية ودولة المماليك الجراكسة ، بعد أن حكمت الأولى ١٣٦ سنة وحكمت الثانية ١٣٨ سنة وبذلك انتهى عصر العظمة المصرية لتقع مصر فريسة الاحتلال العثمانى المظلم الذى خيم على كل أمورها ٥٠٠ عام بدأت من عام ١٥١٧ وانتهت عام ١٩١٤ بإعلان بريطانيا حمايتها على مصر وإنهاء السيادة العثمانية عليها رسمياً . .

*** ودخلت مصر عصر النسيان . رغم محاولات عديدة للاستقلال ، حاولها على بك الكبير ، ولولا أسلوب الخيانة الذى برع فيه آل عثمان لأصبحت مصر من جديد

دولة مستقلة قبل وصول حملة بوناپرت . . ولولا تأمر أوربا على محمد على باشا ،
لأصبحت مصر دولة مستقلة فعلاً ببداية حكم محمد على باشا .

*** أما سليم الأول فقد أعلن نفسه خليفة على المسلمين بعد احتلاله لمصر ، ثم
فتح مكة والمدينة ، ومات بعد ثلاث سنوات فقط ليخلفه ابنه سليمان القانوني . .

وانتهى زمن الحرب والنزال ، ولكن مازال الغريبان سليم الأول وطومان باى يواجه
كل منهما الآخر . . ولكن على لافتة تحمل الأوى اسم الغازى سليم الأول وتحمل الثانية
اسم البطل طومان باى . . فى القاهرة الصامدة !!

أسماء عربية في عاصمة العرب

أسماء الشوارع تأتي دائماً وليدة الأحداث السياسية ، ومجريات الأمور . ولا يمكن عزل سياسة إطلاق أسماء معينة على شوارع معينة عما يجري من أحداث سياسة أو قومية أو حتى فنية ورياضية . .

فإذا جاز لنا أن نطلق أسماء نجوم الرياضة على مواقع بذاتها ، فإن الساسة وصناع القرار تكون لهم الأولوية . وهكذا وجدنا شارع محمود بدر الدين المعلق الرياضى الشهير مجاوراً لنادى الترسانة . كما وجدنا شارع محمود مختار « الشمس » بجوار النادى الأهلى الذى كان أحد نجومه . وشارع رفعت الفناجيلى فى دمياط على الطريق المؤدى إلى الاستاد القديم . وإن وجدنا اسم حسين حجازى نجم نجوم كرة القدم فى العشرينيات متفرعاً من شارع قصر العينى غير بعيد عن شارع ضريح سعد ، وخلف مقر الحكم أى مجلس الوزراء . .

*** ومع تصاعد موجة القومية العربية منذ منتصف الخمسينيات وجدنا أسماء الدول العربية والعواصم العربية ، بل والأنهر العربية مرفوعة على شوارع أحدث ضاحية سكنية فى القاهرة الكبرى ونقصد بها : مدينة المهندسين ، التى بدأت باسم مدينة الأوقاف وما جاورها من مدينة الصحفيين . فقد كانت بداية تعميم هذه المناطق مع تنامى الحس القومى العربى . .

*** وهكذا وجدنا الأسماء التالية فى هاتين الضاحيتين الجديديتين فى القاهرة الكبرى : بداية نجد واحداً من أروع وأوسع شوارع مصر يحمل اسم شارع جامعة الدول العربية . . بل وجدنا ميدان جامعة الدول العربية وهو من أكبر ميادين مصر .

وسوف يتحول هذا الشارع إلى محور رئيس يربط القاهرة بطريق الاسكندرية الصحراوي ليكون موازيًا - ولكن بشكل أوسع - لطريق الملك فيصل . . وشارع الأهرام . .

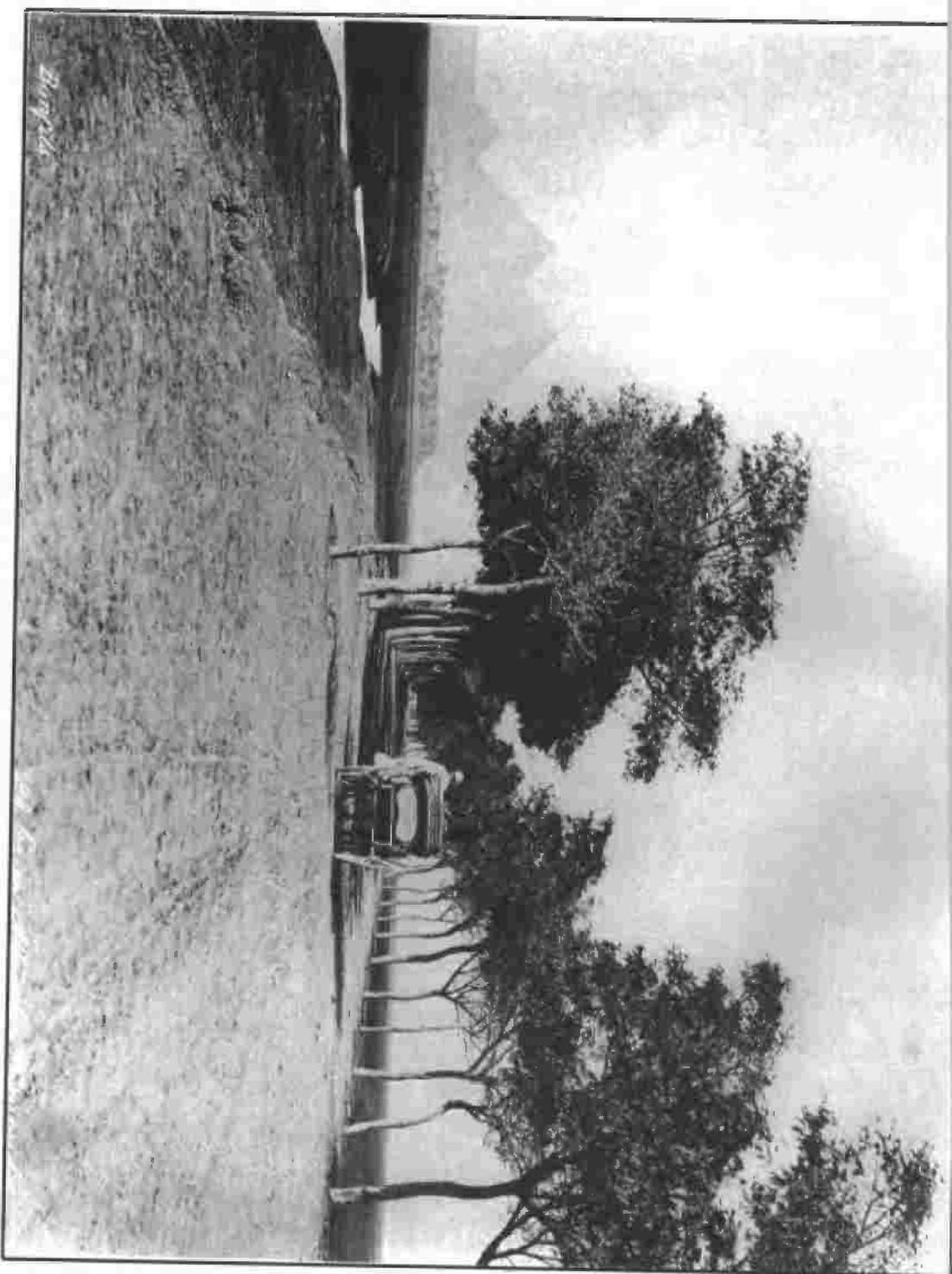
ومن شارع جامعة الدول العربية - وحوله - نجد الأسماء العربية التالية : شارع جزيرة العرب . ثم شوارع : سوريا . الحجاز . لبنان . العراق . السودان . القدس الشريف . الرياض . عدن . بابل . عمان . دمشق .

ونجد شوارع تحمل أسماء أهم أنهار العرب : وادي النيل - وهو الأطول والأعرض بعد شارع جامعة الدول العربية ولم لا والنيل أطول انهار الدنيا - والفرات . ودجلة . كما نجد شارع الخليج العربي . ثم شوارع الاسراء ، والمروة والمدينة المنورة .

*** وهل هي مصادفة أن نجد الأشقاء العرب يفضلون شراء الشقق والقصور في مدينة المهندسين بسبب ما تحمله من أسماء عربية تذكّرهم بديارهم . حتى أننا نجد هذه الضاحية الجميلة والجديدة تتحول إلى ما يشبه سوق عكاظ حيث نسمع كل اللهجات العربية ، وحيث نجد الأزياء والملابس العربية المحيية للنفس هي الأكثر انتشارًا فيها ، خصوصًا في شهور الصيف حيث الأجازات وحيث يحلو للعرب الإقامة في مصر خلال أجازاتهم . .

ولكن هذا لا يمنع من وجود أسماء لرموز من النضال المصري في هذه المدينة الضاحية فنجد شارع البطل أحمد عبد العزيز وهو عصب هذه الضاحية ، ويبدأ عند نهاية شارع وزارة الزراعة ، حتى يصل ويتقاطع مع شارع جامعة الدول العربية . وهذا البطل كان من كبار ضباط الجيش المصري ، وعندما رأى أن الحكام العرب قد تأخروا في قرار دخول الجيوش العربية إلى فلسطين عام ١٩٤٨ لمواجهة المد الصهيوني ، استقال من الجيش المصري وانطلق مع من تطوع من رجاله - ومنهم أركان حربه الصاع كمال الدين حسين - ليهاجم القوات الصهيونية . . ولكنه سقط شهيدًا وللأسف برصاص جندي مصري لأنه نسي كلمة السر في هذه الليلة . .

*** ونجد شارع الفريق عبد المنعم رياض القائد العظيم الذي أعاد بناء الجيش المصري بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ ولم يتزوج إلا العسكرية ، وكان رئيسًا لأركان حرب



صورة لادارة اشعار الأهرام التقطت سنة ١٨٧٠ - وهي محفوظه الآن في جامعة هارفارد .

الجيش المصري ، وخطط ونفذ العمليات العسكرية خلال حرب الاستنزاف . وسقط هو الآخر شهيدًا بقذيفة هاون إسرائيلية في موقع المعديّة رقم ٦ في الإسعافية . . وسقط بين جنوده شهيدًا في يوم لن تنساه مصر هو يوم ٩ مارس . . وبالقدر فإنه نفس اليوم الذي اندلعت فيه ثورة مصر الشعبية الكبرى عام ١٩١٩ . .

ثم شارع أحمد عرابي الذي حاول البعض تلطيخ سيرته حيًا وميتًا حتى أمير الشعراء أحمد شوقي الذي هجاء عند عودته من المنفى في سيلان بأبيات كانت كالسهم .

وزراء الزراعة حول وزارة الزراعة !

وما دنا بالقرب من الدقى والعجوزة لماذا لا نبحث عن أصول شوارعها . والملاحظة الأولى في المنطقة القريبة من وزارة الزراعة - وبالنسبة هي كمبنى - من أجل مباني الوزارات المصرية . نجد أسماء ترتبط بالوزارة وبالأgriculture . . وبالمهندسين الزراعيين . . ووزراء الزراعة أيضًا . وهي ملاحظة جديدة بالالتفات .

بداية نجد شارع وزارة الزراعة . ثم شارع المتحف الزراعى . ثم شوارع تحمل أسماء عملوا وزراء للزراعة ، مثل حافظ حسن باشا ، ومحمد باشا شكرى ، ومحمد باشا الدرى ، وعيسى باشا حمدى من الوزراء والأطباء والمشاهير . .

وعلى سبيل المثال فإن حافظ باشا حسن كان وزيرًا للزراعة وللأشغال العمومية في حكومة إسماعيل صدقى الأولى « ١٩ يونيو ١٩٣٠ - ٤ يناير ١٩٣٣ » ثم أصبح وزيرًا للزراعة فقط في وزارته الثانية من ٤ يناير ٣٣ إلى ٢٧ سبتمبر ١٩٣٣ . وقبلها كان وزيرًا للمعارف العمومية في حكومة عدلى يكن الثالثة من ٣ أكتوبر ١٩٢٩ إلى أول يناير ١٩٣٠ . ولكنه عاد وزيرًا للأشغال مرة أخرى في حكومة على ماهر الأولى من ٣٠ يناير ١٩٣٦ إلى ٩ مايو من نفس العام . . وشارعه في العجوزة يبدأ من شارع الشيخ المراعى ويصل إلى عزبة العجوزة خلف مستشفى الجمعية الخيرية الإسلامية .

أما محمد باشا شكرى وله شارع باسمه في العجوزة أيضًا فكان وزيرًا للزراعة أيضًا في حكومة عبد الخالق باشا ثروت وهي الوزارة التي عاصرت تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ الذى وضع أسس استقلال مصر السياسى وإلغاء الحماية البريطانية على مصر . .

* وشارع عبد العظيم راشد قريب من شارع نوال ويقسمه شارع الدكتور محمد شاهين نصفين . وقد كان راشد وزيرًا للاشغال العمومية في وزارة عبد الفتاح يحيى الأولى من سبتمبر ١٩٣٣ إلى ١٤ نوفمبر ١٩٣٤ . وقد وصفه نائب المندوب السامي في مصر عندما دخل الوزارة بأنه « رجل الملك فؤاد تمامًا !! »

** أما شارع زكى باشا أبو السعود الذى يبدأ من شارع الشيخ المراغى ويعبر شارع الدكتور شاهين ليصل إلى عزبة العجوزة ، فقد كان وزيرًا للحقانية أى العدل في حكومة عدلى يكن الثانية من ٧ يونية ١٩٢٦ إلى ٢١ أبريل ١٩٢٧ . واستمر في نفس موقعه في حكومة عبد الحالى ثروت الثانية أيضًا من ٢٥ أبريل ١٩٢٧ إلى ١٦ مارس ١٩٢٨ .

وندخل إلى الشوارع التى تحمل أسماء أطباء كبار عرفتهم مصر على مدى مائة عام وأكثر . فهذا هو الدكتور محبوب ثابت القطب الوفدى الكبير والطبيب الناجح الذى كان صديقًا وقبلاً لزعيم مصر سعد باشا زغلول . وكان الدكتور محبوب من الظرفاء الذين اشتهرت بهم مصر في عشرينيات القرن العشرين . وكان حلم حياته أن يصبح وزيرًا حتى أن أصدقاء سعد باشا أوهموه مرة أن سعد باشا اختاره وزيرًا للصحة فطار من الفرح إلى أن عرف الحقيقة وطيب سعد باشا خاطره . . وكان الدكتور محبوب رجلًا قصير القامة بدينًا ذا شارب كث . . وله أزجال وأشعار ومواقف سياسية كبيرة . وشارعه في العجوزة يبدأ أيضًا من شارع المراغى ويقطع شارع شاهين إلى أن يصل إلى العزبة التى تقع خلف مستشفى العجوزة .

** والطبيب الثانى هو عيسى باشا حمدى . وقد كان من نوابغ الطب والأطباء . وتولى نظارة مدرسة الطب عام ١٨٨٣ ، وله عدة مؤلفات طبية مازالت تدرس في كليات الطب حتى الآن . وشارعه يبدأ من الشيخ المراغى ويقطع ميدان الدكتور شاهين ثم يصل إلى شارع النيل عند مستشفى الشرطة . وهو أعرض الشوارع العرضية في المنطقة . ولما فاز أديب مصر نجيب محفوظ بجائزة نوبل للأدب ، ولأن نجيب محفوظ يسكن في شقة بالدور الأرضى في أول عمارة عند تقاطع الشارع مع شارع النيل . . تم إلغاء شارع عيسى حمدى ليحمل اسم الأديب نجيب محفوظ . ومع احترامنا

لأدينا الكبير إلا أنني كنت أفضل الإبقاء على الاسم القديم وفاءً لصاحبه وإطلاق اسم الأديب على أحد شوارع القاهرة الفاطمية التي ولد ونشأ فيها .

شارع الدرى .. أشهر جراح مصرى :

قصة هذا الشارع أقدمها إلى محافظ الجيزة لكي يعيد الحق إلى صاحبه ، أى يعيد الاسم إلى صاحبه الذى عاصره منذ بداية حى العجوزة . ذلك هو شارع محمد الدرى باشا ، الذى لا أعلم السر فى أن يأتى عبقرى لايعرف أقدار الرجال فيلغى اسم الدرى ليضع محله اسم « شارع الفردوس » وباليته وضع محله اسم أحد المشاهير لكننا قد قبلنا التغيير . . . وتعالوا نعرف قصة الدكتور محمد باشا الدرى الذى حرموه من شارعهِ !!

*** الدكتور الدرى ولد بالقاهرة عام ١٨٤١ م ووالده هو السيد عبد الرحمن أحمد من محلة أبو على غربية . تلقى تعليمه الابتدائى والثانوى ثم التحق للدراسة بمدرسة المهندسخانة فى عهد نظارة « وزارة » على باشا مبارك . ولكنه ترك الدراسة بها والتحق بمدرسة الطب فى قصر العينى بسبب ميله لدراسة الطب . وبعد نجاحه أمر سعيد باشا والى مصر بإلغاء مدرسة الطب ، وأخرج منها تلاميذها ، فالتحق الدرى بإحدى فرق الجيش . ولم يلبس . فواصل قراءته لكتب الطب حتى أنه اشتغل عرضاً فى الجيش إلى أن أعاد سعيد باشا فتح مدرسة الطب فعاد إليها محمد الدرى وأتم دراسته بها . وهناك ظهرت عليه علامات الذكاء فعين مساعدًا ومعيدًا للجراحة بمدرسة الطب بعد تخرجه .

*** وفى عام ١٢٧٩ هـ أوفد سعيد باشا بعثة من الأطباء الشبان لإتمام دراستهم فى باريس ، منهم الأطباء : محمد بك فوزى ، محمد بك عامر ، وقاسم بك فتحى ، ومحمد بك القطاوى ، وعلى بك رياض ، ومحمد بك زهران ، وعقباوى أفندى . . . وكان أصغرهم سنًا هو محمد درى . . . ولكن فى عصر إسماعيل باشا استدعتهم الحكومة من البعثة بسبب الحاجة إليهم ، فعادوا إلى مصر ماعدا محمد درى الذى استثنى بسبب صغر سنه فأكمل دراسته الطبية .

*** واستمر محمد درى فى الدراسة فى باريس وأتم دروسه على يد أشهر جراحى

العالم ، واستمرت دراسته سبع سنوات حتى نبغ في الجراحة نبوغاً عظيماً شهد به أساتذته . والتقى مع الخديو إسماعيل خلال زيارته لباريس . وعاد محمد درى إلى مصر وتقلد مناصب عدة منها منصب كبير الجراحين بمستشفى قصر العيني ثم أصبح أستاذاً أول للجراحة بها . وبسبب شهرته نال رتبة الباشوية عام ١٣١٥ هـ وسطع نجمه في الجراحة وذاعت شهرته وبرع في فنه ومهارته في إجراء العمليات الجراحية الخطيرة .

*** واقتنى - كما يقول عبد الرحمن الرافعي مؤرخ مصر الحديثة - مكتبة علمية من «أنفس» المكتبات . وألف مجموعة تشريحية من أعظم ما جمعه الأطباء . بل أنشأ لنفسه مطبعة تتولى طبع مؤلفاته ورسائله العلمية سميت بالمطبعة الدرية . وظل مخلصاً لفنه وعلمه حتى توفي ليلة ٣٠ يونية ١٩٠٠ . ومن أهم مؤلفاته « بلوغ المرام في جراحة الأجسام » وقد تم طبعه في المطبعة الدرية في أربعة مجلدات . وله أيضاً كتاب «الإسعافات الصحية في الأمراض الوبائية» طبع عام ١٣٠٠ هـ .

ورغم كل هذا التاريخ يحىء شخص لا نعرف من هو ليلغى شارع محمد باشا الدرى ويطلق عليه : شارع الفردوس !!

*** ويتقاطع مع شارع محمد باشا الدرى شارع طبيب آخر لا يقل شهرة عنه هو شارع سالم باشا سالم . وهو من القناتيات شرقية . تعلم في مدرسة الألسن ثم في مدرسة الطب وسافر في بعثة في عهد عباس باشا الأول لإتمام دراسة الطب في ميونيخ الألمانية ، فأكمل دراسته وعاد إلى مصر وارتقى في المناصب الطبية حتى اختاره الخديو توفيق باشا طبيباً خاصاً له . .

*** ومن مؤلفاته : وسائل الأبتهاج إلى الطب الباطنى والعلاج تم طبعه ١٢٩٨ هـ في أربعة مجلدات . ودليل المحتاج في الطب والعلاج . والينابيع الشفائية والمياه المعدنية . وقد توفي سالم باشا سالم عام ١٨٩٣ م . ومازال اسمه علماً على أحد شوارع حى العجوزة . .